كيف نستقبل الأشهر الحرم؟

أ.أناهيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تُنشر في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

http://tafaregdroos.blogspot.com/#!/

تنبيهات هامة:

– منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

– هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

http://www.muslimat.net/

– الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضا.

اللقاء الأول

ألقي يوم الخميس١٥-١١-١٤٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله الذي يسّر لنا هذا اللقاء ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعله لقاءً مباركًا مرحومًا، اللهم آمين.

لقاؤنا سنتكلم فيه عن هذا الموسم المبارك ألا وهو: **موسم الأشهر الحرم.**

والسؤال:

كيف نستقبل ونتعامل هذه الأيام المباركات التي هي كما هو معلوم شهر ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب؟

أولاً: ما دليلي على أنّ هناك أشهر اسمها الأشهر الحرم؟

الدليل من الكتاب:

آية سورة التوبة **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[1].

إذن كلمة (أربعة حرم) في الآية دليل على أن هناك أشهر اسمها الأشهر الحرم، ما دام خُصّصت بأنها حُرُم، إذًا سيترتّب عليها شيء مختلف عن الأشهر الباقية.

يقول الشيخ السعدي:

يقول تعالى {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ } أي: في قضائه وقدره.

{اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا} وهي هذه الشهور المعروفة

{ فِي كِتَابِ اللَّهِ } أي في حكمه القدري

[1] [التوبة: ٣٦]

{يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ} وأجرى ليلها ونهارها، وقدّر أقواتها أو أوقاتها . فقسمها على هذه الشهور الاثني عشر شهرا.

كيف تعرفين الاثنا عشر شهرا؟ الشهر بالأهلة، لكن السنة كيف تعرفيها؟ ما هو الشيء الذي يتكرر فيها حيث يبدأ الاثنا عشر ثم يبدأ اثنا عشر ثانية؟ بالفصول، الاثنا عشر شهرًا تأخذ أربعة فصول، ثم تعاد مرة أخرى نفس هذه الفصول من جديد، فهي اثنا عشر شهرًا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض، فقسّم أوقاتها أو أقواتها على هذه الشهور .

الأقوات: أكلك وشربك وما تنتج الأرض، وشكل الأرض، مقسّم على اثنا عشر شهرًا، من هذه الأشهر أربعة حرم.

{ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ } وهي:

١. رجب الفرد

٢. وذو القعدة

٣. وذو الحجة

٤. والمحرم.

لماذا سميت رجب الفرد ؟ ثلاثة سرد وواحد فرد، من جهة التتابع والعدد.

الدليل من السنة:

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((الزَّمَانُ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ثَلاَثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ)) [١].

[١] "صحيح البخاري" (كتاب بدء الخلق/ باب ما جاء في سبع أرضين/ ٣١٩٧).

ما معنى استدار كهيئته؟ قريش كانت ترتكب جريمة النسيء، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ [1] النسيء هو نقل حرمة شهر حرام إلى شهر حلال لإرادة القتال، تحريكهم في حرمة الشهر تغير الصورة، كان هذا أكثر ما يكون في شهر محرم إلى صفر، فلما أتى زمن خطبة الوداع، استدار الزمان كهيئته يوم خلق السماوات والأرض، يعني بقي كل شيء مكانه.

لماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ورجب مضر؟

مضر قبيلة يقابلها رجب ربيعة، ربيعة قبيلة أخرى كانت ترى أن رجب هو رمضان، وهو والحرام، ينقلون حرمة رجب إلى رمضان ويعتبروه هو الحرام، وكانوا يعتبرون أن رجب من الأسنة.

الذي يهمنا أن أهل الكفر تلاعبوا في حرمة الأشهر الحرم، التلاعب هذا وإن كان جريمة لكن ومن وجه آخر يبيّن أنهم يعتقدون أنها حُرُم ويعظّمون حرمتها، لكن يتلاعبون على حرمتها، وهذا من بقايا دين إبراهيم.

الذي نخرج به أيضًا: أن أسماء الشهور العربية مكتوبة عند الله ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ﴾ يعن الدين المستقيم، فتصوّر أن تسمية الشهور، والتعامل مع الأهلة، واعتبار أربعة أشهر حرم، كله من الدين، وقيل عنه ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ﴾.

فنحن نتوسل إلى الله أن لا تزول عنا نعمة التأريخ بالتاريخ الهجري، وإن زالت سنكون نحن السبب في زوالها! لخضوعنا للتعامل بالتواريخ المولّدة، سواء كانت ما يسمونها بالميلادي أو غيره، وهذا من آثار الهزيمة النفسية، أن تجد أهل الإسلام الذين قيل عن تاريخهم بالتاريخ الهجري والأهلة ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ﴾ فلا يجدون اعتزازًا بتاريخهم، بل يجدون اعتزازًا لما يسمون هذه التسميات الباطلة التي لا يفهمون معناها!.

إذًا مِن الدين: التأريخ بالتاريخ الهجري، مِن الدين: التعامل مع الأشهر بأسمائها العربية، مِن الدين: استعمال الأهلة في القياسات الشهرية.

وستفهم من الدين لما تجد كم رُتِّب في الدين على الأهلة، ستجد إلى أي درجة تتصل الأهلة والأشهر بالدين، يكفي من هذا أن نعلم أيام البيض من غيرها، وانظر لكل من يؤرخ بالتاريخ الأجنبي، تجده في حيرة حول هذه الأيام البيض متى مكانها.

[1] [التوبة: ٣٧]

على كل حال لابد أن نُظهر من أنفسنا شكرًا من أجل أن تبقى هذه النعمة، لابد أن تتحول هذه النعمة إلى شكر باللسان واعتزاز بالقلب، وأهم شيء أبناءنا يقع في قلوبهم الاعتزاز بما سمّاه الله ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ﴾.

من أجل ذلك لابد أن يكون أبناؤنا حافظين لترتيب الشهور، عالمين بكون هذه أربعة حرم، عالمين باستخدام الهلال بالتأريخ، لما ترين القمر كاملا، تقولين له كامل يعني هذا نصف الشهر، ألفتي نظره لميلاد الشهر، ألفتي نظره لنقصانه والمحاق، علّقيه في ارتباط مع الهلال، هذا كله وعندك النية الحسنة أن يعتزّ بالتاريخ الهجري.

واعتزازنا ليس من باب التعصّب لكن من باب أنه وصف هذا بالدين القيم، ولا تعتبري أن هذا شيء ليس مهمًّا، الانسلاخ من الهوية له مظاهره، والهزيمة النفسية لها مظاهرها، وهذا من أعظم مظاهر الانسلاخ من الهوية والهزيمة النفسية، عدم الاعتزاز بكل ما يُظهر شعائر أهل الدين.

أتى في الآية ﴿فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡ﴾ ما وجه تخصيص المعاصي في هذه الأشهر بالنهي؟

وجه تخصيص المعاصي في هذه الأشهر بالنهي:

قال ابن عاشور –رحمه الله–: "أن الله جعلها مواقيت للعبادة، فإن لم يكن أحد متلبِّسًا بالعبادة فيها، فليكن غير متلبس بالمعاصي، وليس النهي عن المعاصي فيها بمقتض أن المعاصي في غير هذه الأشهر ليست منهيًا عنها، بل المراد أن المعصية فيها أعظم وأن العمل الصالح فيها أكثر أجرًا

لما نهينا عن الظلم هنا لا يعني هذا أن المعصية في غيرها تجوز، المعصية هنا أعظم والعمل الصالح أكثر أجرًا.

ونظيره قوله تعالى {وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ} فإن الفسوق منهي عنه في الحج وفي غيره".

فقط في الحج لا فسوق ولا جدال؟ في كل موطن، لكن الفسوق والجدال في الحج أشد وأعظم.

إذن ميزة الشهر الحرام أن الذنوب فيها أعظم والحسنات فيها مضاعفة.

قال الحسن –رحمه الله تعالى–: "إنَّ الله افتتح السَّنة بشهرٍ حرام واختتمها بشهرٍ حرام".

إن الله: معناه أن ابتداء السنة بشهر محرم وانتهاءها بالحج أمْرٌ أَمَر الله به وكان معروف عند العرب أو كما تبيّن من قصة عمر بن الخطاب مع أبو موسى الأشعري لما قضى بقضاء فأتاهم قضاء أنه في شعبان يحل هذا الدين، فكان أبو موسى يقول أي الشعبانين الذي مضى أو الذي هو آت؟ من هنا كان من عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جعل التاريخ يبدأ بالهجرة ويبدأ من محرم.

هل عمر بن الخطاب بدأ التاريخ من محرم؟ أم أنه مما عُلم سابقًا وكان عند العرب وكان هذا الأمر متبيّن بالوراثة؟

الذي يظهر والله أعلم بكلام الحسن –وسيأتي كلام ابن حجر– أن هذا موجود أصلا ومعروف عند العرب، وأن فعْل عمر بن الخطاب هو التاريخ الهجري نفسه، يعني ابتداء التاريخ بالسنة الأولى من الهجرة؛ لأن العرب كانت تقول (عام الفيل، عام البيعة) بِحَدَث، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه ابتدأ التاريخ بالهجرة، أما كون أول الشهور محرم فالظاهر أنه كان معروفًا أصلًا، وإن لم يكن هذا فعمر رضي الله عنه ممن ألهمهم الله، فهذا نوع توفيق.

قال الحافظ بن حجر . رحمه الله .: "الحكمة في جعل محرم أول السنة أن يحصل الابتداء بشهر حرام، وتتوسط السنة بشهر حرام، وهو رجب. وإنما توالى شهران في الآخر؛ لإرادة تفضيل الختام، والأعمال بالخواتيم".

فتكون سنة مباركة على العبد، مع ملاحظة أن سجلّك لا ينطوي مع نهاية العام، فالرسائل المنتشرة التي فيها كلام أن أطوي سجل صحيفتك بالاستغفار أو بالصيام، كل هذا ليس من السنة ولم يرد، ولا يعتبر أمر حقيقي، إنما صحيفة سجلاتك تبدأ ببلوغك وتنتهي بموتك.

ما معنى حرم؟ هو ما يجب احترامه وحفظه من:

- **الحقوق**
- **والأشخاص**
- **والأزمنة**
- **والأمكنة**

- فلما يقال لك دم المؤمن حرام، ما معناه؟ يجب احترامه وحفظه.
- مال المؤمن حرام: يجب احترامه وحفظه.
- زمان حرام: يجب احترامه وحفظه.
- مكان حرام: يجب احترامه وحفظه.

لما نأتي إلى الأزمنة والأمكنة، تشبه بعض:

الأمكنة: مثل مكة، منى، مزدلفة، حدود الحرم كلها تسمى حرام، أول ما تدخل العلامة (حدود الحرم) تكون دخلت المكان الحرام يجب عليك احترامه وحفظه زائد عن الخارج. قبل الحدود يجب احترامها وحفظها، بعدها تزيد المسألة، يزيد الاحترام والحفظ.

الأزمنة: في شوال زمن، عمرك يجب احترامه وحفظه، لكن لما تأتي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب يزيد الاحترام والحفظ.

اتفقنا لماذا تسمى الأشهر الحرم بالحرم؟ لعظم حرمتها وحرمة الذنب فيها، يعني احترامك للزمان والمكان كيف يكون؟ تحترمه، وتصونه، ولا تعصي فيه.

الدليل على سبب تسمية الأشهر الحرم:

روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "اختصَّ الله تعالى أربعة أشهر جعلهنّ حرامًا، وعظَّم حرماتهنّ، وجعل الذنب فيها أعظم، وجعل العمل الصالح والأجر أعظم، وخصّ الله تعالى الأربعة الأشهر الحرم بالذكر ونهى عن الظلم فيها تشريفًا لها وإن كان منهيًّا عنها في كل زمان".

من كلام ابن عباس فهمت أن الله لما جعل هذه الأشهر حرامًا وعظّم حرماتهن، جعل الذنب فيها أعظم والعمل الصالح والأجر فيها أعظم.

على العبد أن يدخل الأشهر الحرم مستصحبًا مفهومين:

المفهوم الأول: أن الله تبارك وتعالى حكيم.

لأنه قد يرد سؤال: لماذا خُصَّت شهور دون شهور؟ أيام دون أيام؟ ليال دون ليال؟ أمكنة دون أمكنة؟

والسؤال الصحيح: خصّ الله الأشهر بمزيد فضل؛ فماذا عليَّ أن أفعل؟

قال القرطبي رحمه الله: "لا يقال: كيف جعل بعض الأزمنة أعظم حُرْمة من بعض؟

فإنّا نقول: للبارئ تعالى أن يفعل ما يشاء ويخصّ بالفضيلة ما يشاء، ليس عليه حجر، بل يفعل ما يريد بحكمته، وقد تظهر فيه الحكمة وقد تخفى".

لابد أن تعتقد أن الله حكيم، يختصّ ما يشاء بما يشاء، ما فات القوم الخير إلا لأنهم ما قبلوا اختيار الله، تجد كفار قريش لماذا لم يقبلوا النبي صلى الله عليه وسلم نبيًّا؟ ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ ﴾[1] قالوا لماذا النبي صلى الله عليه وسلم وليس فلان أو فلان من عظماء قريش؟ ! معنى هذا أن القوم فاتهم الخير لأنهم ما قبلوا اختيار الله ، وأنت يفوتك الخير لما ما تقبل اختيار الله، اختيار الله للأشهر الحرم، تقول لماذا؟! ما ميزتها؟! أنا يجب علي أن أقبل اختيار الله وأتعامل معه، وهذا الأمر كل العقول تقبله؛ لأن العقول لما يُعرض عليها ما ينفعها تسأل تقول ماذا أفعل؟ كيف أفعل؟ كيف أنتفع؟ ولا تقول لماذا أفعل؟ بدليل أننا نتعامل مع كل الوسائل الحديثة من جوالات وبريد إلكتروني وفاكس –الانترنت عمومًا– نتعامل مع كل هذه الوسائل الحضارية بدون أن نعرف كيف تكون، قابلين مسلّمين، ولا نفكر هل الحروف تطير أو تمشي أو ماذا يحصل لها، المهم رسالتي تصل فقط، أقول كيف أستفيد من هذا الشيء؟ وليس كيف صنعتوه ولا ماذا يحصل؟ فهذه العقول السوية السليمة تتعامل مع الأشياء النافعة بصورة الانتفاع وليس بصورة الاعتراض.

إيمانك أن الله حكيم يجعلك تبحث ماذا يجب أن يكون حالي في الأمر الذي اختاره الله، اختار الله الأشهر الحرم لها ميزة وزيادة فضل، أنا ماذا يجب علي أن أفعل؟ وستفهم ماذا يجب عليك أن تفعل لما تفهم الأمرين: الله حكيم، وما موقفنا من الحسنات والسيئات في الأشهر الحرم.

لذا؛ لابد من تربية النشء على أن الله حكيم، فتأتي الأشهر الحرم على علمٍ بأن الله حكيم في اصطفائه.

[1] [الزخرف : ٣١]

أبناؤنا مقتنعين بشهر رمضان لأنهم فتحوا أعينهم على تعظيم رمضان، الطفل يكون لين، يتلقى يقبل، لكن لو كبروا وقد فات تعليمهم، تأتي الصعوبة، المهم عامله باسم الحكيم، أن الله حكيم يتخص من الأماكن ومن الأشخاص ومن الأزمان ما يشاء سبحانه وتعالى.

المفهوم الثاني: ذكر أهل العلم: أن الحسنات تُضاعف في كل زمان ومكان فاضل، وأن السيِّئات تُعَظَّم في كل زمان ومكان فاضل.

اتفقنا أن الحسنات تضاعف في الأماكن الفاضلة والأزمنة الفاضلة وفي النيات الفاضلة، يهمني الآن الأماكن والأزمنة، الأماكن والأمنة تشبه بعض في التقرير.

الدليل على أن الزمان الفاضل تُعظَّم فيه السيئات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾[1] **كبير: أي عظيم أن نقع في مثل هذا، فهو أكبر من القتال في غيره.**

في غير هذا الشهر القتل حرام، لكن في الشهر الحرام تكون المسألة أكبر، كما قال الشيخ **أي عظيم أن نقع في مثل هذا**. دليل على أن الزمان الفاضل تعظم فيه السيئات، القتل رمز للسيئات، فالسيئات في الشهر الحرام كبيرة بالنسبة للسيئات في غيره.

الدليل على أن المكان الفاضل تُعظَّم فيه السيئات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[2] .

يعني مجرد إرادة الميل عن الطريق المستقيم بإلحاد بظلم، ماذا يفعل الله به؟ يذيقه من عذاب أليم، أين دليل تعظيم السيئة؟

أنه يعاقَب على السيئة بمجرد الإرادة وليس بالفعل، وليس أي عقاب، نذقه من عذاب أليم!

[1] [البقرة: ٢١٧]
[2] [الحج:٢٥]

فلو تحرك قلبك بذنب وما دفعته ولا استغفرت، تكون مستحقًّا للعذاب الأليم. مثلاً في الحرم ونحن جلوس وعندي مكان يتسع، وناس مقبلين عليّ لكن لا يعجبوني، وعندي هوى! لا أريد هؤلاء، فأوسع لنفسي، وفي نفسي إرادة أن يندفعوا، ولا يكونوا، هذه الإرادة التي في نفسك تستحق عليها العذاب الأليم! يقول الله: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ إرادة قامت في قلبك، إرادة إيذاء من أمامك، ما فعلت شيء، فقط تريد أن تؤذيه، هذه الإرادات كافية لأن تُكتب عليك ذنوب وتذوق العذاب الأليم بسببها، في مقابل أن في غيره من الأماكن الإرادة لما تتحول إلى فعل تصير سيئة وتكتب عليك، وإذا كانت هناك إرادة ولم يوجد فعل وذهبت، إذا تركتها من أجل الله تكون حسنة، لكن تركتها ما فعلت لأنها ذهبت وليس منعك مانع، لا تكتب حسنة ولا سيئة، لكن في الحرم الإرادة تكتب سيئة وتذوق من ورائها العذاب الأليم.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله عن حرمة مكة والحرم:

"وقال تعالى: {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} وكان جماعة من الصحابة يتقون سكنى الحرم خشية ارتكاب الذنوب فيه، منهم ابن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وكذلك كان عمر بن عبد العزيز يفعل، وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: الخطيئة فيه أعظم.

إلى الآن نسمع الخطيئة أعظم، ستأتينا كلمة غير أعظم.

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لأن أخطئ سبعين خطيئة –يعني بغير مكة– أحب إلى من أن أخطئ خطيئة واحدة بمكة. وعن مجاهد قال: تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات.

سيأتي كلام القرطبي يبيّن كيف أن بعض أهل العلم يقولون تعظم وبعضهم تضاعف.

وقال ابن جريج: بلغني أن الخطيئة بمكة بمائة خطيئة والحسنة على نحو ذلك.

أيضا هذا نوع من فهم المضاعفة.

وقال إسحاق بن منصور: قلت لأحمد: أفي شيء من الحديث إن السيئة تكتب بأكثر من واحدة؟ قال: لا، ما سمعنا إلا بمكة؛ لتعظيم البلد، ولو أن رجلاً بِعَدَن أَبْيَن –أبعد مايكون– **هَمَّ أن يقتل رجلاً بهذا البيت، لأذاقه اللهُ مِن العذاب الأليم.**

مع بعده لكن قام فيه إرادة أن يأتي البيت ويقتله.

كلام عمر بن الخطاب وكلام مجاهد، وكلام الإمام أحمد يدل على أنهم يرون المضاعفة. سنرى ماذا يقصد بالمضاعفة.

هذه الإضافة تؤيد كلمة المضاعفة للسيئة:

وقد تضاعف السيئات بشرف فاعلها وقوة معرفته بالله وقربه منه، فإنّ مَن عصى السلطان على بساطه، أعظم جرمًا ممن عصاه على بُعد.

لذلك وأنت في مكة غير وأنت في خارجها، وأيضا لما تكون أنت من؟ أيضا هذه قضية، أنت في أي وضع؟ أنت ما حالك؟ الظلم ممن عندهم دين غير الظلم من أهل الدنيا، الافتراء من أهل الدين غير الافتراء من غيرهم، حتى عند الله غير، سنرى دليلين: آية سورة الإسراء ثم آية سورة الأحزاب.

ولهذا توعّد اللهُ خاصةَ عباده على المعصية بمضاعفة الجزاء، وإن كان قد عصمهم منها ليبيّن لهم فضله عليهم بعصمتهم من ذلك، كما قال تعالى: {وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا} إذا ركنت؟ **{إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الممات}**[1].

يعني عذاب مضاعف في الحياة وعذاب مضاعف في الممات، والله عصمه لكن المقصود بيان فضله سبحانه وتعالى على النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال تعالى: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} على حسب حالها، أولا قيل لهن يضاعف لها العذاب ضعفين، هذا لو ارتكبت الفاحشة، ولو طاعت؟ **{وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ**

[1] [الإسراء: ٧٤ و٧٥]

وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا}[1] " مدام نؤتها أجرها مرتين إذًا في العقوبة هذا الكلام ينبه من أنت؟ أنت من على حسب حالك تأتيك الذنوب.

وإن كان ليس موضوعنا لكن لابد من لفت النظر له، الآن يوجد من أنواع التعدي والظلم والخطأ يصدر من الناس الذين معهم دين بصورة غير متوقعة! اترك عنك رأي الناس فيهم، فكِّر من يكونوا عند الله؟! من أنت؟ بحسب قوة معرفتك بالرب المفروض يظهر عليك مظاهره، على حسب حالك يكون أجرك وعلى حسب حالك يكون مضاعفة الذنب عليك.

هذا الكلام فقط بالمناسبة لأن ما نجده اليوم في التعليم وما نجده في الحالات الاجتماعية كله مؤسف، كله في طريق فقدان الرفق، في طريق العنف، وسيأتي لقاء عن العنف الأسري وكيف أنه لا ينتظر أن من أهل الدين أن يكون فيهم هذا العنف، بالعكس الرفق ماكان في شيء إلا زانه، وتعلمون كيف أتى هذا الحديث ، كيف أن عائشة رضي الله عنها دخلوا اليهود على الرسول وما سلموا عليه قالوا السام عليك! فعائشة رضي الله عنها من حرقتها على النبي صلى الله عليه وسلم ردت عليهم ردًّا مضاعفًا، فرد النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف الذي فيه اعتداء من اليهود على النبي قال ((إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِى شَىْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَىْءٍ إِلاَّ شَانَهُ))[2] !!.

لازلنا نتكلم عن أن الأماكن والأزمنة ثم دخلوا الأشخاص في الوسط كشاهد فقط.

قال الحافظ ابن كثير . رحمه الله .:"نهى تعالى عن الظلم في الأشهر الحرم وإن كان في جميع السنة منهيًا عنه، إلا أنه في الأشهر الحرم آكد؛ ولهذا قال {مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ}[3]".

وقال: قال تعالى: {فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} أي في هذه الأشهر المحرمة؛ لأنها آكد وأبلغ في الإثم من غيرها، كما أن المعاصي في البلد الحرام تضاعف

[1] [الأحزاب: ٣٠. ٣١]
[2] "صحيح مسلم" (كتاب الأدب، باب في الرفق، ٤٨١٠)
[3] [التوبة: ٣٦]

هذا الشاهد، ابن كثير في شرحه لآية التوبة قال أن المعاصي في المكان الحرام يضاعف، وأتى بالدليل:

لقوله تعالى : {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}[1] وكذلك الشهر الحرام تغلظ فيه الآثام؛ ولهذا تغلظ فيه الدية في مذهب الشافعي وطائفة كثيرة من العلماء، وكذا في حق من قتل في الحرم أو قتل ذا محرم".

يعني حقوق المحارم، حقوق الأبناء، حقوق الزوج، النقص فيها أشد من نقص حقوق غيرهم.

من علامات يوم القيامة انقلاب الأمر، العناية بحقوق الخارج وعدم العناية بحقوق الداخل، تكون رفيقًا رحيمًا في الخارج، في الداخل مع زوجك وأبناءك أشد ما تكون!.

على كل حال المقصود أن لفظة مضاعفة وجدت في كلام أهل العلم، ووجدت في النص: آية النساء وآية الأحزاب. هذه رواية عن ابن عباس، سأقرأها لأنه سيتبين أن المضاعفة موجودة:

وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس في قوله : {فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} قال: في الشهور كلها.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ} الآية.

{فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} في كلهن، ثم اختص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حرامًا وعظم حرماتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم، والعمل الصالح والأجر أعظم.

الذي فات كان مضاعفة وهنا أعظم، كيف نفهم المسألة أعظم أو مضاعفة؟ الاختيار أنها أعظم، وسنرى كيف تُفهم المضاعفة.

لماذا المضاعفة للحسنات والتعظيم للسيئات؟ لسببين:

أولاً: النصوص أخبرت أن الحسنات فيها المضاعفة، والسيئات فيها التعظيم.

في آية البقرة لما أجاب الله عن سؤالهم في القتال في الشهر الحرام قال قتال فيه كبير يعني عظيم.

ثانيًا: أن هذا يؤيِّد ما هو معلوم في الشريعة أن الله جل وعلا ليس بظلام للعبيد.

فلو عمل الإنسان سيئة ستكون سيئة مثلها، وسيأتي الحديث المشهور أنه كتبت مثلها لو قام بها.

[1] [الحج: ٢٥]

يأتي السؤال: **كيف نفهم الأدلة التي تدل على المضاعفة؟**

كلام القرطبي مهم جدا ، سيفهم منه في المضاعفة ويفهم منه حالنا:

قال الإمام القرطبي . رحمه الله .:"لا تظلموا فيهن أنفسكم بارتكاب الذنوب؛ لأن الله سبحانه إذا عظّم شيئًا من جهة واحدة صارت له حرمة واحدة، وإذا عظّمه من جهتين أو جهات صارت حرمته متعددة، فيضاعف فيه العقاب بالعمل السيِّء، كما يضاعف الثواب بالعمل الصالح .

سنفهم المسألة بمثال، قال: **فإن من أطاع الله في الشهر الحرام** –أطاع له أجر– **في البلد الحرام** –أجر ثاني– **ليس ثوابه ثواب من أطاعه في الشهر الحلال في البلد الحرام، ومن أطاعه في الشهر الحلال في البلد الحرام ليس ثوابه ثواب من أطاعه في شهر حلال في بلد حلال.**

نأتي للعكس، شخص ارتكب جريمة الزنا في البلد الحلال في الشهر الحلال، بقي نفس جريمة الزنا، لو ارتكبها في الشهر الحرام، أصبحت حرمتين، جريمتين: نفس الوقوع في الجريمة، وانتهاكها في الشهر الحرام. لو ارتكبها في البلد الحرام صارت ثلاثة: نفس الذنب، انتهاك حرمة الزمان، انتهاك حرمة المكان، لو كان من ذا محرم: انتهاك الأعراض، وانتهاكه في الشهر الحرام، وحرمة البلد الحرام، وانتهاك الحرمة الخاصة القرابة، صار الذنب الواحد من أربعة جهات هتكت الحرمة فيه.

فهذا نظر من نظر للمضاعفة، ليس نفس الذنب يضاعف، على هذا صار التعظيم والمضاعفة كلمتين متساويتين، على الإجمال معظمة، على التفصيل مضاعفة؛ لأنه نفس الذنب ليس منفرد، أتى معه انتهاك حرمة أخرى.

على ذلك هذا الدليل اتفقنا أن الشريعة ليس فيها مضاعفة للسيئة نفسها (كتبت له سيئة واحدة) قال ابن رجب: **إشارة إلى أنها غير مضاعفة**. سيئة واحدة السيئة لا تضاعف، لكن اتفقنا الآن على أنها تعظم، يعني فلا تظلموا فيهن أنفسكم معناها: لا تنتهكوا حرمة الشهر بالوقوع في الذنوب، فماذا سيكون؟ انتهاك لحرمتين: حرمة الذنب وحرمة الشهر، يعني أوزار متعددة وليس وزر واحد.

مثلا أشيمط زان مثل شاب زان؟ لا، يعني كبير في السن يزني مثل شاب يزني؟ كلاهما وقع في الزنا لكن المسألة الثانية هذا شاب قد يعذر، ولكن ليس معناها لا يأثم، الثاني ارتكب جريمة الزنا والدوافع ليست قوية، فانتهت حرمتين: دفع نفسه للذنب دفعا، يعني منعه الله فدفع نفسه. كذلك عائل مستكبر.

قال تعالى {فلا تظلموا فيهن أنفسكم}: قال الإمام الطبري . رحمه الله . في تفسيره: "فلا تعصوا الله فيها، ولا تحلُّوا ما حرّم الله عليكم، فتكسبوا أنفسكم ما لا قِبَل لها به من سخط الله وعقابه.

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله: {فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} قال: "الظلم: العمل بمعاصي الله، والترك لطاعته".

هذا ما ذكره الطبري في تفسيره للآية، إذن الظلم له شقان:

ظلم النفس شقّان:

الشق الأول: لا تظلم نفسك بتفويت الزمن الصالح وترك الحسنات.

الشق الثاني: لا تظلم نفسك بعمل المحرمات في الزمن الفاضل.

ترك الحسنات نوع ظلم، لما شخص يقول لآخر: عندك فرصة تشتغل شغلة مرتبة نافعة، يتركها، نقول له فوّت على نفسك فرصة، أنت ظلمت نفسك، لو كان عنده أولاد نقول أنت ظلمت أولادك، تفويت المصالح نوع ظلم، لماتدخل الشهر الحرام ماذا يكون في قلبك؟ لا تظلم نفسك، لا تفوت على نفسك المصلحة بتركك لعمل الحسنات، ولا تظلم نفسك بعمل السيئات.

ما هو المطلوب من شخص دخل الأشهر الحرم؟

- **التزموا حدود الله تعالى.**
- **وأقيموا فرائض الله.**
- **واجتنبوا محارمه.**
- **وأدوا الحقوق :**
  - **فيما بينكم وبين ربكم.**
  - **وفيما بينكم وبين عباده.**

هذا يحتاج لبرنامج، كلام جديد، لكن ماذا يجب أن أفعل، كيف أفعله؟ سنتكلم المرة القادمة. نبدأ مناقشة:

التزموا حدود الله تعالى: حدود الله لا تعتدوها، يعني لا يقع منك أن تتعداها، لا تترك تعظيمها، سنرى أن من أسباب موات القلب ترك تعظيم الله. لو عظمت الله ستلتزم الحدود، هذا باختصار .

وأقيموا فرائض الله: ليس مطلوب منك أن تأتي بأعمال جديدة في هذا الشهر، بل اهتم بالفرائض، نفكر في الصلاة، الصلاة وهجر الاعتناء بها أمر واضح، هجر إطالة السجود والانكسار والذل أمر واضح، هجر العناية بالفاتحة وجمع القلب في (إياك نعبد وإياك نستعين) أمر واضح، هجر الاعتناء باستهداء الله (اهدنا الصراط المستقيم) أمر واضح، الصلاة عمود الدين أمر يحتاج منا إلى عناية في الشهر الحرام وفي غيره، لكن الآن أنا أمام فرصة أن أقيم فرائض الله، لا تفكر في السنن الآن قد ما تفكر في الفرائض، وأهم الفرائض فريضة الصلاة، قوم ممكن يلحقهم فريضة الحج، وقوم تلحقهم فريضة الزكاة لابأس، لكن هنا الآن المشترك بيننا كلنا فريضة الصلاة، والصلاة فرض يتكرر عليك، فإتقانه مهم. أتقن نفس صلاة الفريضة وأتقن ما حولها من نوافل، لا تستهن بالنوافل، زد إيمانك في الزمن الفاضل، لا تستهن بالنوافل، ومن النوافل التي حول الصلاة: التسبيح بعدها، كم لهذا التسبيح من أجر، لو كانت ذنوبك كزبد البحر وسبحت هذه التسبيحات السهلة الميسورة ، غفرها الله لك.

على كل حال اهتم بالفرائض أولا، لا تناقش السنن قبل الفرائض، حضور قلبك انكسار ذل، إطالة السجود، ثم بعد ذلك اهتم بالسنن الرواتب المتصلة بالفريضة، كل هذا مما ينفعك الله به.

واجتنبوا محارمه: اجتنبوا كل ما حرم الله، المحارم نفسها صورتين:

١. صورة الوقوع فيها يُرتَّب، تخطط للوقوع فيها
٢. وصورة يأتي كما اتفق، لا ترتب له.

الذي يرتب له مثلا ترفع سماعة التلفون وتعرف ما ستقوله ستغتاب فلان، تقوم بالذنب وأنت مخطط له، ليس مثل من كان يتكلم ويجيب سيرة أحد وتنطلق وتنسى نفسك، هذا كلام آخر.

هذان النوعان من الذنوب لابد من اجتنابهما، أما نوع التخطيط فيحتاج منك قوة تقوى، لأن قوة التقوى تجعلك تقطع على نفسك في وسط التخطيط، لا يجعلك تصر، تعرف أن هذا تذكير الله لك، وإهمالك للتذكير نوع إصرار على الذنب.

تفعل الذنب وتسمع الأذان فتتذكر، سيؤثر فيك الأذان لابد، لكن مع هذا تهمله كأن شيئا لم يكن وتكمل! فوجود هذا دليل على قسوة القلب، تحريك الله لقلبك تجاه الذنب، تكون لست غافلا، يحرك الله قلبك يذكرك (لايجوز أكل مال الحرام، لا يجوز فعل كذا، لا أرتاح لفعل كذا) ومع ذلك تبقى! كل هذا نوع إصرار على الذنب.

ما الذي يمنع التقوى؟ قسوة القلب.

الذنوب غير المخطط لها الذي تقع فيها من غير ترتيب، تجد نفسك بدأت الموضوع وأكملت وقفلت السماعة وقد اغتبت نصف البلد! تقول غصب عني، ليس قصدي، أنت تعلم أنها غيبة، فامنع نفسك، المجاملات والإحراج.. يطيل هذه الذنوب، ماذا أفعل في مثل هذه الذنوب؟

أولاً: عليك بالتوسل أن يمنعك الله، أن يحفظك من هذه الذنوب.

الأمر الثاني: استجب للمنبه مباشرة.

ادعي قل يارب احفظني من هذه الذنوب، ثم يأتيك منبه من حفظه سبحانه وتعالى، لاتتركه لا تهمله، استجب له مباشرة، لأنك كلما استجبت للمنبه كل ما زادت قوته في قلبك، وكل ما تقدم وقته، يأتيك المنبه في وسط الذنب، كل ما استجبت له كل ما تقدم زمنه يأتيك من أول الذنب مباشرة.

استعمل مع نفسك في هذه الحال الخوف، لابد أن تقوي خوفك، قل لنفسك: صلاة أجيب منها قوة إيمان وأجمعها وأبذل جهودي أني أجمع قوة إيمان في قلبي ، ثم أجد كلمتين يذهب هذا، نور يكون بين يدي أملكه، بكلمتين كأن شمعة مشتعلة أطفئها حتى أبقى في الظلام، قل لنفسك هذا الكلام، لازم تفهم حقيقة الموضوع، أنت بما تفعله من ذنوب تطفئ نور الطاعة في قلبك، تذهب إيمانك، إلى أن لا يبقى معك إلا ذرة من إيمان! تأتي أحوال للعبد ما معه إلا ذرة من إيمان.

المقصود اجتناب المحرمات سواء ما خطط له أو التي تأتي كما اتفق، سيّس نفسك، وانظر أين ذنوبك. هذا الكلام باختصار، إلى اللقاء القادم سنذكره بالتفصيل.

وأدوا الحقوق: أداء الحقوق مشكلة المشاكل، يوم القيامة يقف الناس على قنطرة بعد الصراط، في هذه القنطرة التي بعد الصراط تُردّ الحقوق، الناس يُحاسبون الحساب الأول، والذي يعلم الله أن ذنوبه ستأكل حسناته تمامًا يتحاسب في الأول، عدى القوم الصراط، يُحبسون على قنطرة، يأخذ كل واحد حقه من الثاني، تصوري لما يأخذ كل واحد حقه من الثاني تكون حسناتك هذه مفروض تبلغك هذه الدرجة من الجنة، فلما أخذوا حسناتك ماذا يحصل لدرجتك؟ تنزل! الحقوق أمر عجيب.

لما أسألك تحفظين في حديث حق المسلم على المسلم: نبدأ بالسلام، حق المسلم الذي ستُحاسب عليه أنك لما تمر عليه تسلم عليه، كم واحد مررت عليه ما سلمت عليه يكون له حق عندك؟! أليست هذه الحقوق!

نرى ما هو حاصل الآن من إهمال الحقوق، بل ليس من إهمالها عدم معرفتها أصلا، الناس يتصورون أن السلام من باب زائد وتفضّل!

الحقوق هذه تحتاج منا شيء من الصدق حتى أُرزقها وأتعلمها.

انتهى الوقت. إلى الأسبوع القادم..

اللقاء الثاني

ألقي يوم الخميس٢٢-١١-١٤٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله و صحبه أجمعين.

ورد سؤال: ما معنى أن يربي الله عباده وكيف يكون العبد غافلا عن ذلك ؟

الجواب: هذا بحدّ ذاته درس (كيف يربي الله عباده وكيف يكون الإنسان غافلا عن ذلك؟) لكن باختصار: التربية هي ما يجريه الله على عباده من أقدار يربيهم بها، بمعنى أنه يفهمهم عنه، يفهمهم عن صفاته سبحانه وتعالى فيعيش الإنسان يرى آثار علمه بأسماء الله، فلو علم أن الله حليم، كريم، رحيم.. يعرف يفسّر المواقف، فالناس يفسرون الحلم بالرضا، فالله يعامل عبده بحلمه، أي لا يعاجل عباده بالعقوبة، وهم يفهمون من حلمه أنه راض، فلما يربيك يعني يعاملك بأسمائه و صفاته. لو تعلمت الأسماء والصفات ستعرف أن تفسّر ما يجري عليك من أقدار.

كيف يكون غافلا عنها؟ الغفلة سببها أصلا عدم العلم عن الله، فالعباد لا يعلمون عن ربهم، جاهلين بأسماء الله وصفاته، وسبق ذكر هذا الأمر في شرح اسم الله الرب، فإيمانك بالربوبية هو الذي يأتي بإيمانك بالألوهية. ما هي الألوهية؟ التأليه، هي أن تؤله الله وتعظمه وتتعلق به، ولن يقع في قلبك تعلق و تعظيم بالله إلا بعد أن تعرفه، وتعرفه بتربيته لك، بمعاملته لك باسمه الرب.

خرجنا في اللقاء الماضي بالتالي: الأشهر الحرم من أين علمت أنها أشهر حرم ؟

من آية سورة التوبة، ماذا يقول الله عز وجل؟ ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[1] فهمت كذا من آية سورة التوبة أن الاثنا عشر شهر جعل الله منه أربعة أشهر حرم.

[1] [التوبة : ٣٦]

وأتى حديث في صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق: ماذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم؟ ((الزَّمَانُ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ . . .))[1] المهم الله عز وجل في الآية قال ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ . لماذا بالذات هذه الأربعة لا نظلم فيها أنفسنا وإن كان الظلم في كلها محرمة؟

لأن هذه الأربعة خصت بمزيد فضل وبمزيد حرمة، لا تسأل لماذا خصت؟ الله حكيم يصطفي من خلقه ما يشاء، يصطفي من الأماكن ما يشاء، يصطفي من الشهور مايشاء، لكن تعامل معها (اصطفاها الله ماذا أفعل؟) أربعة أشهر حرم اصطفاها الله، ماذا أفعل فيها ؟

﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ معناها أنك تعلم أن الله عظّم الظلم في هذه الأشهر عن الأشهر الباقية، فالذنوب في الأشهر الحرام عظيمة، وعظمتها تأتي من جهة الذنب نفسه، ومن جهة عظمة الشهر، فلما ترتكب الآن ذنبا يكون بنفسه محرما في هذا الزمان وفي غيره، فتكون هتكت حرمة الذنب نفسه، يعني محرم عليك أن تعتدي على الناس، لما تعتدي عليهم هتكت حرمة إخوانك أولاً، ثم إذا كان في الشهر هتكت حرمة الشهر، فاجتمع عليك أنواع من الهتك.

لو فعلت هذا الذنب في الشهر الحرام في البلد الحرام، اجتمع عليك الثلاثة: نفس الذنب ، وهتكك لحرمة المكان وهتكك لحرمة الزمان. يقابل هذا المعنى: أن الحسنات في هذه الشهور تضاعَف، سيأتينا كلام عن هذه النقطة بالتفصيل اليوم.

المهم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾-كما اتفقنا المرة الماضية-:

- **التزموا حدود الله تعالى.**
- **وأقيموا فرائض الله.**
- **واجتنبوا محارمه.**
- **وأدوا الحقوق : فيما بينكم وبين ربكم. وفيما بينكم وبين عباده.**

[1] "صحيح البخاري" (كتاب بدء الخلق/ باب ما جاء في سبع أرضين/ ٣١٩٧).

والجامع لعدم الظلم هو: التعظيم.

الجامع لهذا كله (أن لا تقع في الظلم) أن تكون معظمًا.

نحن دائمًا متفقين على أن الألوهية كلها على بعض لها عامودين:

١. أن تتعلق بالله

٢. أن تعظم الله.

الدين كله دائر حول التعلق والتعظيم.

نناقش التعلق:

التعلق: أن تكون عبدًا ذليلاً منكسرًا لله عزّ وجلّ، قلبك لا يلتفت عن بابه، ما لك أحد إلا الله، أنت حياتك تدخل في كلمتين {إياك نعبد} أو {إياك نستعين}.

فأما العبادات {فإياك نعبد} قلبنا لا يلتفت إلى غيرك، لا نريد ثناء أحد ولا رضاه، لا نريد إلا رضاك يا رب، لا عندما تتعلم، ولا وأنت تدرس، ولا وأنت تخدم العلم وأهله، لا يلتفت قلبك عن إرادة رضا الله هذا تعلقك برضاه لما تعبد.

ولما تتعامل مع الدنيا وتريد مصالحك فيها، الدنيا التي ابتليت بها وهي اختبار لك: استعمل {إياك نستعين} أستعين بك ولا أستعين بغيرك، قلبي ملتفت لك يا رب حال مصالحي، ما أستعين إلا بك، محققًا لها، قلبك عند الله أن يعينك ((يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ))[1]

وحتى تستعين بالله حقيقة: ((وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ -أي يعينوك- لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ))

لذلك لا يلتفت قلبك عنه سبحانه وتعالى، وسيسخر لك من يعينك، لا تذلّ نفسك لغير الله، ليس إلا الله يعين وهو الذي يسخر لك من يعينك.

[1] "سنن الترمذي" قَالَ أَبُو عِيسَى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

إذن أنت في التعلق حياتك كلها دائرة بين إياك نعبد و إياك نستعين، لذلك تتوسل إلى الله أن يهديك الصراط المستقيم في {إياك نعبد وإياك نستعين} تطلب من الله أن تكون على هدى في استعانتك وعلى هدى في عبادتك.

الآن التعلق ليس موضوعنا، التعظيم هو موضوعنا، الأشهر الحرم وعدم الظلم فيها تحتاج إلى تعظيم منك.

نناقش التعظيم:

لابد ان تكون معظمًا من أجل أن لا تظلم نفسك في الأشهر الحرم، تعظم ماذا؟

للزمان، للمكان ...إلى آخره. نحن نريد أن نعرف ماذا سنعظم بالضبط؟

سينقسم التعظيم إلى قسمين:

١. سأعظم أولاً الحرمات

٢. ثم أعظم الشعائر.

أنت بحاجة إلى أن تعظم الحرمات، وتعظم الشعائر، فإذا عظمت الحرمات والشعائر، اندفع عنك أن تكون ظالما، ثم سنعرف من أين يأتي تعظيم الحرمات و الشعائر.

إذن ما الجامع لدفع الظلم عن نفسنا في الأشهر الحرم؟ ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ لا أظلم نفسي.

كيف لا أظلم نفسي؟ أعظِّم.

أعظم ماذا؟ أعظم الحرمات وأعظم الشعائر.

أولاً : تعظيم الحرمات

الحج والأشهر الحرم، هذه العبادات العظيمة التي فيها اجتماعات تحتاج إلى التعظيم، **يقول الله في سورة الحج: قَالَ تَعَالَىٰ:**

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾[1] أولاً سنشرح حرمات الله ثم نفهم ما معنى (خير له عند ربه).

[1] [الحج : ٣٠]

ما معنى تعظيم حرمات الله؟

نعظّم نواهيه ومحارمه التي حرّمها في كتابه، أو حرَّمها رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن أعظم ما حرّمه الله:

الشرك بأنواعه.

تعظم الحرمات أي كل المنهيات والمحرمات، وأعظمها الشرك. كيف يكون التعظيم؟

قال الحافظ ابن كثير –رحمه الله–: "{وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ} أي: ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عظيمًا في نفسه.

أي هو بنفسه المعظم لحرمات الله لا يرتكب الحرمة، ليس هذا فقط، لكن نفس هذا الشيء الحرام يكون عظيمًا في نفسه، أي هو بنفسه يخاف على نفسه أن يرتكبه، ويستنكر من نفسه أن يرتكبه، ويلوم نفسه على أنه يمكن أن يفكر فيه، لكن من الخارج ما حاله هذا الذي يعظم حرمات الله؟ لو مرّ على هذه الحرمة منْتهَكة يفزع قلبه! وليس بعد هذا ذرة من إيمان! أي لو مررت على ذنب من الذنوب والناس يقعون فيه غير متحرجين (عادي) وما وقع في قلبك كراهية له، وبغض له في قلبك، هذا شاهد وعلامة على أن قلبك لا إيمان فيه!!

ما الدليل؟

((وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ))[1] كما نعبر أن الإنكار القلبي هذا أضعف الإيمان.

فلا تكلمني عن الإنكار باللسان لما ترى الذنب، لا تقل أنا لا أعرف أن أنكر ولا أعرف أن أكلم الناس، ليس هذا مقصدنا وإن كان مطلوبا نحن الان لا نتناقش عنه، نتناقش على أضعف شيء ممكن أن تملكه ويشير إلى إيمانك، أن تمرّ على المنكرات فتجد في قلبك إنكارها أنها حرام.

من أجل ذلك لا تُمت قلبك أن تخالط المنتهكين للحرمات ليلاً ونهارًا ، اعطِ الأمر حقّه من جهة قلبك، أما موضوع اللسان وموضوع اليد هذا موضوع آخر يحتاج لحكمة ونقاش وطول مقام، إذن المعظم لحرمات الله هو بعيد عنها. الأمر الثاني يكون ارتكابها في نفسه عظيم، سواء ارتكابه هو أو ارتكاب غيره لها. هذه أول خطوة.

[1] "صحيح مسلم" (كتاب الإيمان، باب بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الإِيمَانِ وَأَنَّ الإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ وَأَنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ، ١٨٨).

نكمل كلام ابن كثير: قال :

"{فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ} أي: فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل، فكما على فعل الطاعات ثواب جزيل وأجر كبير، وكذلك على ترك المحرمات واجتناب المحظورات".

لما تتعرض للذنوب ثم تقبض قلبك عن ارتكابها معظمًا لله، يكون على قبض قلبك وجمع نفسك على أن لا ترتكبها هذا أجر عظيم، كما أن فعل الطاعات فيه أجر ، فمنع النفس من ارتكاب الإثم فيه أجر.

قال الشيخ السعدي –رحمه الله– في تفسيره: "حرمات الله: كل ماله حرمة، وأمر باحترامه، بعبادة أو غيرها، كالمناسك كلها، وكالحرم والإحرام، وكالهدايا، وكالعبادات التي أمر الله العباد بالقيام بها

كلها يعتبر انتهاكها لها حرمة.

ماذا أفعل لأكون مُعظمة للحرمات ؟

أول خطوة : التعلُّم عن الحُرمات.

فالحُرُمات هي ما تقترفه:

- **الجوارح**
- **والقلوب.**

تأتي أول مشكلة في الحرمات أنني أصلا لا أعرفها، فكثير من الكبائر القلبية والكبائر البدنية أنا جاهل بها أصلا ولا أعرفها.

الترقّي لا يأتي إلا بمعرفة التفاصيل، لو سألتكم: الطب ترقّيه كيف صار؟ لما كانوا يتكلمون عن جسم الإنسان إجمالاً كان درجة، ولما صاروا يفصّلون جاء الترقي، إذن تطبيب الأبدان يحتاج إلى تفصيل وبيان، فكيف بتطبيب القلوب؟!

لا تقل المسألة أعرفها إجمالاً، لو كان إجمالا تعرفها إذًا عامل بدنك بنفس الطريقة، فكلما أردت الترقي لابد أن ترتفع في معرفة التفاصيل.

لذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا))[1] فصار الفارق في ردود الفعل والتفكير والتصورات ما تعلمه، كلما تعلمت، ارتفع منك صحة ردة الفعل. أحيانا تكون ردة فعلك ليست صحيحة، على الأقل تفهم أنك لست على صواب، انظر لذلك الغريق الأعمى الذي يرى مثلا العفو نقصًا في قدره، فتراه يبطش بدون تفكير، في مقابل أن التقي الذي في قلبه إيمان يرى العفو سببًا لأن يعفو الله عنه.

ردّتان الفعل المختلفتان ما سببهما؟ سببهما تفصيل العلم، ليس العلم فقط.

المهم أول خطوة التعلم عن الحرمات، فالحرمات هي ما تقترفه الجوارح والقلوب، وهذه الحرمات لا تستهن بها، فالمعاصي بريد الكفر. ومن أعظم الحرمات التي نخافها ونخشاها الشرك، ولا تتصور أننا بعيدين. حتى لو أخذت وقتًا في هذه المسألة فالمسألة تستحق.

سأتكلم الآن عن المسألة العظيمة جدًّا الحرمة العالية **وهي الشرك**.

وكما هو معلوم الشرك أصغر وأكبر والأصغر أنواع، سأترك الكلام عن الأكبر وتفاصيله حتى عن تفاصيل الأصغر، سأختار صورة واحدة من صور الشرك، وتصوري التالي:

أن بانيًا يبني بيتًا له أساس، ويرتفع طوابق لأعلى، حال بنيانه للأساس كان غاشًّا، وأنت تراه يرتفع بالبناء إلى أعلى، فظاهر الصورة أنه صاحب مبنى من عشرة طوابق، وحقيقتها أنه لا يملك إلا تراب هذا المبنى، لأن أول هزة ستسقط العشرة طوابق مرة واحدة!

هذه الصورة عبارة عن ماذا؟ عن الأساس والأصل للأعمال:

الأصل هو التوحيد، الأصل أن لا يلتفت قلبك حال العمل لطلب رضا أحد غير الله.

البناء من أعلى مبني على ماذا؟ على الأساس، البناء هو الأعمال الصالحات، أساسها أن قلبك غير ملتفت لطلب رضا أحد غير الله، فلما تطلب رضا غير الله وقعت في ماذا؟ تساوى عندك في لحظة رضا الله ورضا غيره، تساووا في لحظة واحدة، فقلبك التفت عن الله لغيره يطلب رضاه، هذه اللحظة ستضعف أساس بناءك، لما تصبح ليست لحظة، لما تصبح ساعة، لما تصير أربع ساعات، لما تصير الحياة! كل الحياة وأنت ذاهب وآت من أجل فلان! وفلان ممكن أن يتعدد، فنحن الان لا نتكلم عن الدنيا بل عن الدين،

[1] متفق عليه.

تحفظ القرآن من أجل المعلمة، تصلي من أجل الجيران، كل مرة واحدة تحصل في الأسبوع، ثانية، ثم كل يوم ثانية، ثم حتى تتمرّن فيصبح ديدنك، إلى درجة أنك لا تنشط لطاعة إلا إذا كان هناك أحدا! ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[1] التفات قلبك طلبا لرضا الناس اسمها في الشرع رياء، شرك أصغر، بقعة سوداء ثقيلة على القلب، لكنها ممكن أن تصير بقعة الزيت الكاتم، أي تمنع عنك الأكسجين كما يعبرون، تنهيك، بعد أن تكون بقعة سوداء ثقيلة، تتوسع، تصبح كل حياتك عبارة عن التفات قلبك لغير الله، تلاحظ في كل شأن طاعة رأي الناس، هذا اسمه الرياء.

الآن ماذا تحتاج؟

لابد أن تتصور بالتفصيل ما هو الرياء؟ لابد أن تتصور بالتفصيل ما هي مشاعر الرياء؟ لابد أن تتعلم بالتفصيل كيف تنتبه لنفسك أن لا ترائي؟

إذًا أول تعظيم الحرمات : إذا كنت تعظم الرياء على وجه الحقيقة، لابد أن تتعلم عنه، إذا كنت معظم لحرمات الله ابدأ بأعظمها، الشرك أعظمها، ولا تقل أنك بعيد عن الشرك، كما بدأنا اللقاء اليوم هل أنت أفضل من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم؟! النبي صلى الله عليه وسلم يخاف على أصحابه من الرياء، فأنت أولى بهذا الخوف، إذًا الشرك ليس ببعيد ولا بصورة، فأنت المفروض أن تلاحظ التفات قلبك، لا يلتفت قلبك لغير الله، لا تفكر بغير الله، الالتفات هذا شعور أنت تجده في نفسك.

ودائما نضرب له مثلاً –ربما مناسب لطالب العلم–: لو أسنانك تؤلمك وعندك دواء في خزانة، ووقفت تصلي والخزانة على يمينك، لما كبّرت تصلي وقع ألم في أسنانك، قلبك الآن وقت الألم وأنت تصلي أين؟ ملتفت للخزانة، تريد أن تنتهي لتذهب للخزانة، هذا اسمه التفات القلب، بهذه الدقة، هذا مجرد مثل وليس رياء.

وهذا مثل المحبوب الذي تفكر به، ليس شرطًا أن يكون محبوبك، قد لا تعرفهم، قد تكون في انتظار في المستشفى، لا تعرفهم ولا شيء، هم على يسارك وأنت واقف تصلي، تشعر قلبك مشغول بهم كأن قلبك ملتفتًا على جهتهم طالبًا رضاهم، وأنت غير شاعر بنفسك، تتجاهل هذه المشاعر، هذا هو الرياء، عين الرياء، هذه الحركة الالتفاتة الواقع الخفي، تقول المسألة خفية شديدة الخفاء! ماذا نفعل في أنفسنا؟!

[1] [النساء : ١٤٢]

لذلك ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ))[1] ثم يُرد بأهل هذا البيت كلهم خيرًا لما هذا يفقه في الدين؛ لأنه ينظر لهذا وينتبه له ويراه ملتفت، فينبهه أنه يجب عليك أن تفعل كذا وكذا، لذلك أراد الله به خيرا وبأهله لما يفقه في الدين.

الفقه في الدين كشف لغمة يتمثل فيها الإنسان آية سورة الأعراف ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[2] الذي يأتي للطلب والعلم بعد سنين، يكون عاش الحياة وذهب للجيران وذهب للزواجات وعمل كل ما يريده، ثم مرة واحدة ينكشف له أن ناس يتعلمون ويطلبون وحياة ثانية غير الحياة التي يعيشها، هذا يشعر بمعنى واحد ميت فأحياه الله . يشعر كأن أول مرة الدم يسير في عروقه! حقيقة الذي عاش هذه المرحلة يراها عيانا، يقول أين كنت أنا؟! من شدة الغفلة كل آمالي دائرة على مسائل حقيرة تافهة .

إذًا أول خطوة في تعظيم الحرمات : التعلم عنها ، لن تعظم شيئا لا تعرفه، لابد من التعلم عنها.

واعلم أن الحرمات هي ما تقترفه الجوارح والقلوب وأشدها القلوب، وكل ما يجري وراء القلوب من كبائر سواء هنا أو هنا، وهذا دراسته يكون في كتاب الكبائر، يعني حتى نحقق هذه النقطة ندرس الكتب التي تتكلم عن الكبائر حتى تعرف الحرمات فتعظمها.

الخطوة الثانية : اعلم أن الذنوب تتفاوت من جهة العمل القلبي المصاحب للذنب.

من تعظيمك للحرمات أن تتصور أن الذنوب ليست على حد سواء، مثلا لما تعتمر في رمضان، تختلط بناس من الخارج لا يكون عندهم علم، لابد أن تعلم أن ذنبك أنت الذي تقترفه مساويًا في صورته لذنبهم، لكن في درجته مختلف، كونك من تكون؟ أنت من؟ لذلك الله عز وجل في سورة الأحزاب كيف خاطب نساء النبي صلى الله عليه وسلم؟

لو وقعوا في فاحشة و هم معصومون من ذلك —نساء النبي معصومون من ذلك– يضاعف لها العذاب. لماذا ؟

أنت من؟ عندك علم، في بيت النبوة، في بيت الإسلام، مع أهل الإسلام، كل هذا مختلف، فإذًا حالك مؤثر في الذنب.

إرادتك التي في قلبك، أحيانًا كثيرة الإنسان يخطط للذنب، هل الذنب المخطط له مثل الذنب الذي يأتي كما اتفق؟ لا، الأول أعظم، إذًا معنى ذلك أن الإرادات المستقرة للذنوب ليست كما يمرّ الذنب مرة واحدة. هذا ذنب وهذا ذنب لكن لازم تشعر

[1] متفق عليه.
[2] [الأنعام : ١٢٢]

بالتعظيم ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[1] هناك فرق بين ذنب من يبيت ما لا يرضى من القول وبين من يقع مباشرة فيما لا يرضى من القول، فلا تتصور أن الذنوب درجة واحدة، أنت من؟ هذا مؤثر، هل بتخطيط أو بدون تخطيط؟ هذا مؤثر، كل هذه –عوامل كثيرة– تؤثر على درجة الذنب، قلبك هو المشكلة، لو كنت ممن رباه الله وأراه الآيات ونفعه بالصحبة –صحبة الخيّرين– وبعد هذا كله كأن شيئًا لم يكن، ليس مثل شخص بعيد لم يهيأ له هذه الظروف.

إذن من أجل أن تكون معظّمًا :

أولا تعلم عن الحرمات .

ثانيا تصور حقيقة درجة الحرمة، فهي تتفاوت على حسب ما قام في قلب الشخص.

الخطوة الثالثة : الخوف منها، واجتناب الطرق الموصلة لها.

قال صلى الله عليه وسلم: ((ومن حامَ حولَ الحمى يوشِكُ أن يقعَ فيهِ))[2].

لا تعامل نفسك مع الحرمات بالأمن. لما تمر في كتاب الله على جريمة الزنا مثلا، أو الربا، أو شرب الخمر، القتل، أتخيل أن القتل لا علاقة لي به، وشرب الخمر لا علاقة لي به، وأنا بعيد.

لا تعامل الله بالأمن من مكره، لو أردت تعظيم حرمات الله، خف من الذنوب.

لا يأتي أحد ويقول أنا محصنة ومتزوجة ما علاقتي بالزنا! ليس هكذا يعامَل الله، لابد أن يكون الإنسان واقع في قلبه الخوف من حرمات الله أن يقع فيها، اجتنب بكل ما تملك من قوة، فنحن ما أهلكنا ولا أهلك أولادنا إلا طمأنينتنا للعدو، أنت لست خبيثًا، أنت سوي مستقيم، لكن عدوك يملي عليك الخبث إملاء، الشياطين تؤزهم أزا، يستفزز من استطاع بصوته، يجلب علينا بخيله، يشاركنا في الأموال، كل هذه الصور لابد أن تكون واضحة في ذهنك، ليس أنت من فيك المشكلة، أنت فقط عندك فراغ بالاعتصام، فبدلاً من أن تعتصم أمنت، شعرت أنه لا يحصل لي ولا لأولادي، كل شيء خطأ تشعر أنه أولاد الناس وليس أولادك!

---

[1] [النساء : ١٠٨]

[2] قال الشوكاني حديث صحيح، وفي رواية متفق عليها: ((كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه)).

إذًا كلما مرت في خاطرك الحرمات يجب أن يقع في قلبك خوف منها، والخوف هذا يرفعك عند الله، خف منها ومن كل طريق يوصلك إليها .

وقد حكينا سابقًا موقف الفتاة التي كانت مع أحد يعالج مشكلة أحد، فسمعت طرفًا من المشكلة أن فيها فتاة تعرفت على شاب.. إلى آخره، وهي الآن تسمع من بعيد العلاج، بعد أن انتهى الكلام كله قالت للمعالج: كيف البنات يفعلون ذلك؟! وكيف يمكن أهلهم..؟ كان هذا الساعة الثانية ظهرا، خرجت للبيت، أول ما وصلت البيت رن الهاتف، ولم يكن أحد في البيت فهي ردت على الهاتف، وأول ما رفعت سماعة الهاتف، كان شابا ونزل عليها بالمطر بكلمات الحب! هذا ابتلاء، فهي الآن أمام موقف، تقول اهتزّ قلبي! من الكلام الذي سمعته ، فهي الآن أصبحت ترى أنه نعم بكل سهولة ممكن يحصل! فكأنها سألت سؤالا وأتتها الإجابة (كيف تكون الفتاة لا تخاف من أهلها وكذا..؟! تتساءل، وأتاها الجواب عمليا، هكذا يكون الأمر!)

فأنت لا تستبعد عن نفسك، لذلك دائما في هذه النقطة نقول: أنت لا تستبعد عن نفسك والذي يقع في الذنب انظر له بعينين: أما بعين الشرع فاعتبره مخطئا ، و أما بعين القدر فترحم عليه، أشفق عليه.

نستعمل هذه القاعدة : لا تكن منتقدا، كن معتبرا. اعتبر ، انتفع.

كثير من الناس يتصورون أنهم لو حفظوا كتاب الله والدروس والعلم، عصموا! العصمة ليست إلا للأنبياء، لا يمكن أن ترى هذه الأسباب عاصمة، هذه الأسباب وسائل فقط، أنت انتفع بها.

المهم اجتنب الطرق الموصلة إلى الذنب، لا تقنعني أنه بعد أن يكون اختلاط لن يقع الزنا، هذا سيكون غباء؛ لأن الزنا أصلا نتيجة وقوع الشهوة، والشهوة تقع بالخلطة، تحصل نوع إثارة، هذا سيأتي بالوقوع في الزنا. فالمسألة لا يراد منها الإدراك العقلي فقط، بل التقوى من القلب. مادام الشريعة منعت، أكيد سيكون هذا الناتج، وهذا ما نراه. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ومن حامَ حولَ الحمى يوشِكُ أن يقعَ فيهِ)).

الخطوة الرابعة: تكرار التوبة والإنابة.

حتى تكون معظمًا باق في قلبك التعظيم –تعظيم الحرمات–، اعلم أن ارتكابك للذنب يقلل تعظيمه في قلبك، فلما ترتكب الذنب ستخسر خسارتين: ستخسر نفس وقوعك في الذنب، وستخسر أنه قل في قلبك تعظيمه (استهانة)، فأول مرة تقع في الذنب تشعر بحرارة أن وقعت في هذا الذنب، المرة الثانية تقل الحرارة، الثالثة تقل الحرارة، حتى ترى أن هذه الممارسة طبيعية!

فحتى يبقى الذنب في نفسك معظمًا، تُب حتى يمحى عنك الذنب، وتب من أجل أن يعود مرة أخرى الذنب عظيمًا في قلبك، لا تستهن به، فجريمة الاستهانة مختلفة عن جريمة الارتكاب.

من أجل ذلك لما تجد أناسا تربوا في زمن على الأفلام والمسلسلات العاطفية.. إلى آخره، ثم تاب الله عليهم واستقاموا، لو قيل لهم أن هيئة الأمر بالمعروف مسكوا شابا وشابة ويريدون أن يقيموا عليهم حكم الخلوة، فتجد في نفسها شيء من البرود، وممكن الحزن عليهم. وتشعر أن الموضوع لا يستاهل! ففي النفس برود تجاه هذه الخلوة، لا يشعر بالغيرة، كيف بنتي التي ربيتها –نسأل الله أن يحفظ بناتنا يا رب– أن كيف بعد التربية وبذل الجهد وترين أنها محفوظة ومصانة وكل الجهد مبذول من أجلهم، ثم تقع في كذا! هذا شيء لما يكون عظيم في نفسك أصلا يقع على نفسك مثل الصاعقة! المشكلة لما تفكر فقط في بناتك، لكن لما يكون في بنات المسلمين، تشعر أنه شيء (عادي) لأنك تتفرج في الصور ومثل هذه المسلسلات التي بردت قلبك، لكن ابنتك تفكر فيها، أن الأمر يخصك أنت من أجل نفسك، لكن المسلمين ليسوا قضيتك، فبرد نفسك عن نفس الذنب، فصارت حرارتك على أبناءك وليس على حق الله، حرارتك على أبناءك لأنهم أبناءك، على حق نفسك عندك حرارة، وليس على حق الله، بدليل أنك لو سمعت هذا الخبر عن غيرهم تقول حرام مساكين! وتشعر أن الموضوع ما يستاهل.

ثانيًا: تعظيم الشعائر

قال تعالى: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ}[1].

والمراد بالشعائر: أعلام الدين الظاهرة؛ كالصلاة والزكاة والصيام والحج والعمرة وغيرها. وكل الأوامر الشرعية البارزة التي يحبها الله عزَّ وجلّ.

[1] [الحج: ٣٢]

شعائر الدين الظاهرة، الواضحة أن هؤلاء مسلمين، مساجدنا، الحجاب، كل شيء ظاهر وليس باطنا في القلب، ماذا يقع في قلبك؟ تعظيم كل الشعائر.

قال الشيخ السعدي –رحمه الله–: "فتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب، أي لما تعظم الشعيرة فهذا دلالة على أن في قلبك تقوى.

فالمعظّم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه؛ لأن تعظيمها، تابع لتعظيم الله وإجلاله".

فأنت معظم وتحب كل من يعظم، وتحب كل وسائل التعظيم للشعائر.

مثال: لنأخذ الصلاة، من أعظم شعائر الدين البارزة، نبتدئ بتعظيمها نفسها، الأذان، ترى أنك معظما له، من تعظيمك أنك تسكت وقت الأذان، تردد وراءه، ترى أن المؤذن هذا له من الأجر العظيم وأن له مكانة، لما تمرّ على أحد يصلي الضحى تجد في قلبك فرح لظهور هذه الشعيرة، لما تمر على المحلات مغلقة وقت الصلاة تجد في قلبك فرح تعظيمًا للشعيرة، هذا كله دائر حول تعظيمك للشعائر وأن هذا دليل على أنك متق ومحب لله.

قال الشيخ السعدي –رحمه الله– في تفسيره:

فتعظيمها

- **إجلالها بالقلب**
- **ومحبتها**
- **وتكميل العبودية فيها : غير متهاون، ولا متكاسل، ولا متثاقل".**

فأنت من تعظيمك كمِّل العبودية فيها، أي أتقن العبادة، كمل العبودية في كل عبادة، اجمع قلبك وابذل جهدك في الصلاة على أن تجيدها، تتقنها، غير متهاون ولا متكاسل ولا متثاقل.

إجلالها بالقلب، محبتها، وتكمل العبودية فيها، لا تتعامل معها بالتهاون والتكاسل والتثاقل.

كيف أكون شخصًا معظّمًا للشعائر في الأشهر الحُرُم خصوصًا؟

في الشعائر والمحرمات كلاهما نحتاج فيهما إلى علم، لكن الشعائر أقل في حاجتنا للعلم، لأنها شعائر الدين الظاهرة فهي واضحة، وليس كالمحرمات التي تحتاج إلى علم دقيق، لتستبين سبيل المجرمين تحتاج إلى دقة وفهم بالتفصيل الخطأ، لكن في الشعائر لا يتكلم عن الدين كله، يتكلم عن شعائر الدين البارزة.

ماذا تحتاج؟

١- العلم بها

٢- رتب الأولويات وأحب ما يحبه الله

كما جاء في الحديث القُدسي: ((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ))[1].

لما تريد أن تعظم الشعائر عظّمها، ليس بترتيبك وهواك أو بوضعك الاجتماعي أو بالأسهل عليك، بل رتّبها بمحبة الله لها.

وأولى الأولويات الصلاة.

إذن المطلوب منا أن نعتني بالأولويات، فلا أحد يكلمني عن الأخلاق كأولوية نحتاجها قبل أن يكلمني عن الفرائض، ولا يكلمني أحد عن الفرائض قبل **التوحيد**، فاهتم واعتني بظهور شعائر الدين البارزة، ومن أهمها: التوحيد، الصلاة.

٣- اعلم أن هناك أسبابًا وأعمالاً تضاعف بها الأجور

فأنت من تعظيمك لشعائر الله وضعت أولويات، هذه الشعائر –الأعمال- لها أسباب تضاعف فيها الأجور.

لما كنا في المحرمات، قلنا أنك يجب أن تتعلم عنها، ومن أجل أن تعظم الحرمات اعلم أنها ليست على حد سواء، بل تتفوات على حسب الذنب وعلى حسب ما قام في قلبك.

وهنا في الشعائر تعلّم عن الشعائر، وقدم الفرائض على النوافل، ثم اعلم أن هناك أسبابًا تجعل عملاً أفضل من عمل.

[1] صحيح البخاري.

فلما تعظم الشعائر سيتبيّن لك وأنت تعظمها بعد أن تتعلمها وتقدم الأولويات، هذه الأولويات بالترتيب صحيح، لكن لابد أن تنظر بنظرة أخرى أن هناك أعمالًا صالحة ستتفاوت في درجتها على حسب هذه الأسباب التي سنراها.

الأسباب والأعمال التي يضاعف بها الثواب :

ولابد أن تتعلمها لأن من تعظيمك لشعائر الله : أن تعلم أن هذه الشعائر الأجر المرتب عليها مختلف، فخذ الطريق التي يضاعف بها أجرك، ولا تنس نحن لماذا نتكلم عن تعظيم الشعائر؟ حتى لا أظلم نفسي في الأشهر الحرم، فأعظِّم الحرمات وأعظِّم الشعائر، عظِّم الشعائر وتعلّمها ورتّب الأولويات، واعلم أن هذه الشعائر تختلف في درجة مضاعفتها على حسب خمسة أمور:

١. **إما متعلقة بالعامل**
٢. **أو بالعمل نفسه**
٣. **أو بزمانه**
٤. **أو بمكانه**
٥. **وآثاره.**

نبدأ بالعامل نفسه: نضرب أمثلة:

يعني أنت كلما زاد إيمانك زاد تقواك، شكر الله لك أكثر، كلما كنت متيقنًا باليوم الآخر، كنت مأجورًا أكثر على العمل، لذلك أعمالنا بالنسبة لأعمال الصحابة لا توازيها أبدًا، لماذا؟ ليس لنفس العمل، لكن لما قام في قلوبهم من شدة يقين، فشدة اليقين تؤثر على الأجر في العمل.

أنصح بقراءة رسالة جميلة للشيخ السعدي اسمها (أسباب مضاعفة الأجور)، هذه الخمسة كل الرسالة باختصار.

من يستطيع ذلك؟

الموحِّد

لو نظرنا لآية سورة الحج التي خرج منها تعظيم الشعائر والحرمات، ستجد في الآية ٣٠ الكلام حول تعظيم الحرمات، وفي الآية ٣٢ الكلام حول تعظيم الشعائر، والآية في الوسط **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦ ﴾ ثم ضُرب مثل للذي يشرك، ثم عاد الكلام حول من يعظم شعائر الله.

يعني كلما ازداد الشخص توحيدًا، استطاع أن يكون معظمًا للحرمات معظمًا الشعائر.

باختصار: ما هو التوحيد ؟

أن لا يلتفت قلبك عن الله، طلبا لرضاه، استعانة به.

على ذلك عالج قلبك، امنعه من الالتفات لغير الله، سيأتي بعدها أن تكون معظمًا للشعائر معظمًا للحرمات.